

السلوك السليم والسلوك السقيم في علم النفس المعاصر

د. محمود گلزاری

الملخص: إنّ من أكبر التّحديات التي يواجهها علماء النفس والمتخصّصين في مجال الاختلالات النفسيّة، هو تعريف و تحديد الاختلالات السلوكيّة. وهناك قليل من الإتّفاق في هذا المجال بين علماء النفس. إنّ أحد الأسباب الرئيسيّة لهذا الاختلاف هو أنّ البناء الفلسفي للعلوم الجديدة، خاصة العلوم الانسانية، يقوم على أصالة الانسان. في هذا المقال، تطرح آراء عشرة من علماء النفس حول معايير سلوك الانسان ونقد أصالته. ومن ثمّ تقييم رأي علماء الأخلاق الاسلاميين، الذين حدّدوا معايير السلوك و الصفات الحميدة و الصفات السيّئة في منهج أرسطو، و أخيراً تبين ميّزات كتاب «الكافي» وتقسيمه إلى طبقات الايمان و الكفر.

كلمات مفتاحيّة: السلوك غير العادي؛ أصالة الانسان؛ الأخلاق الاسلاميّة؛ الكافي؛ الايمان و الكفر؛ منهج أرسطو.

أ- تمهيد

يعتبر علم النفس و المشورة، من المهن التي تقدّم العون والمساعدة للصحة النفسية، و المهمة الأساسية لهذه المهن، تغيير الصفات و الاختلالات السلوكية و غير الطبيعية للناس حتى يستطيعوا أن يعيشوا بحدوء و سلام و يوجدوا مجتمعاً حياً و نشطاً لانطلاق طاقات الانسان. و من البديهي، أنّ الخطوة الأولى للتغيير و تصحيح السلوك، تحديد معيار الحياة الطبيعية و تبين الحدود الدقيقة لشخصية الانسان السليم و الانسان السقيم. إنّ دراسة نصوص الاختلالات النفسية، يظهر أنّ السلوك السليم و السلوك السقيم من أصعب التحديات التي تواجهها البحوث المتعلقة بهذا المجال العلمي.

ب - معايير الاختلالات السلوكية في علم النفس

١. منذ ثلاثين عاماً، كتب «جيمز كلمن» في كتابه «الاختلالات السلوكية والحياة الحديثة» يقول: نظراً لأننا لا نملك تصوراً نموذجياً من سلوك البشر. فهناك نظريات مختلفة لتعيين حدود السلوك السليم و السلوك السقيم و نحن نذكرها هنا باختصار:

أولاً - النظرية الصريحة

في هذه النظرية، تمت دراسة تعاريف عامة حول الصحة النفسية. يقول «كارل ميننجر»: اسمحوا لنا لنعرّف لكم الصحة النفسية، وارتباط الناس بدينامهم و الأشخاص الآخرين و التأثير و الفرح الناجم منه، و لذلك فإنّ الفشل في هذه الأفعال، يفضي إلى التنافر و السلوك غير الطبيعي.

الثاني - الصفات المتعددة

في هذه النظرية، يتمّ درج قائمة من الصفات التي يعتبرها أكثر الباحثين شرطاً للصحة النفسية و يؤخذ كمعيار، فعدم توفر هذه الصفات أو قلّتها علامة على السلوك غير السليم.

الثالث - معايير خاصة

تحديد المعايير البحتة، لتحديد السلوك غير الطبيعي، و تمّ استخدام معيارين في كثير من الأحيان أكثر من غيرها، و هما القلق و انزعاج الشخص، و الآخر الانحراف عن السلوكيات

١. Coleman.

٢. local model.

المقبولة لدى المجتمع.

الرابع - نماذج طبيعة و سلوك البشر

هذه النظرية تظهر السلوك الطبيعي و غير الطبيعي على أساس الموديل أو سلسلة مفاهيم حول الطبيعة البشرية.

٢. عدّ مؤلفو كتاب «أرضية علم النفس» (أتكينسون و زملاءه) المعايير التالية للسلوك غير الطبيعي:

الأول - الانحراف عن السلوك الاحصائي

فالسلوك غير الطبيعي، هو سلوك قليل التكرار او منحرف عن السلوك.

الثاني - الانحراف عن السلوك الاجتماعي

ابتعاد السلوك عن التناغم الاجتماعي

الثالث - عدم تكيف السلوك

السلوك غير الطبيعي من وجهة نظر التأهيل الصحيّ الشخصي و الاجتماعي، غير متناسق و غير متكيف مع السلوك و يتضمّن عواقب ضارة للشخص و المجتمع.

الرابع - قلق الانسان

السلوك غير الطبيعي يفضى إلى الانزعاج و القلق. يتكلّم هؤلاء المؤلفون عن ميّزات السلوك الطبيعيّ على الوجه التالي: المعرفة المتناغمة مع الحقيقة، القدرة على ضبط السلوك الاختياريّ، احترام الذات و الاستقبال، وضع علاقات المحبة و البناء و الخصوبة.

٣. يعرب «ديويسون» و زملاءه (٢٠٠٥ م) عن أربعة معايير للسلوك غير الطبيعيّ:

الأول - شذوذ السلوك من وجهة نظر الاحصاء

الثاني - الانحراف عن سلوك المجتمع

١. روان شناسی نا به هنجار و زندگی نوین، ص ١٣.

٢. Social Compliance.

٣. راجع: روانشناسی هیلگارد، ص ٥٢٣-٥٢٧.

الثالث - قلق الشخص

الرابع - العجز و التَّشَوُّه

والغرض من العجز، هو وجود عراقيل في بعض المجالات الهامة للحياة كالعامل أو العلاقات الشخصية.

٤. يوضح «نويد» ، «راتوس» و «جرين» في كتاب «علم النفس السقيم في عالم متغير»: مايلي:

كلنا نشعر في بعض الأحيان بالاكتئاب أو القلق. هل هي الأحاسيس غير العادية؟ فالقلق حين المقابلة من أجل كسب وظيفة أو الامتحان النهائي امر طبيعي جداً. فالإكتئاب بعد موت الأجزاء أو الفشل في العمل طبيعي أيضاً. فمتى نستطيع أن نسمي السلوك غيرطبيعي؟ والجواب هو:

إذا لم يكن القلق و الاكتئاب متناسباً مع الظروف، فانه سيكون غير طبيعي، مثل ابتلاء الشخص بالاكتئاب حين الحصول على درجة جيدة و ممتازة أو الشعور بالخوف في المصعد او في مركز التسوق.

من جانب آخر، فإن شدة المشكلة، تشير إلى السلوك غير السليم، وطبيعي أن تشعروا بالقلق قبل المقابلة لشغل وظيفة. لكن ذلك لا يعني أنكم تصابون بالذعر كأن قلبكم يريد أن يخرج من صدركم.

ثم يصف المؤلفون المعايير التالية لتعيين السلوك غيرالطبيعي:

الأول: كونها غيرعادية ° (المشاهدة والاستماع ما لا يشاهد الآخرون و لا يسمعونه)

٦

الثاني: الانحراف عن المجتمع

الثالث: المعرفة أو سوء التفسير للحقيقة (الاهوام و الهذيان)

١. Nevid.

٢. Rathus.

٣. Greene.

٤. changing world in Psychology abnormal.

٥. unusualness.

٦. Social deviance.

الرابع: القلق و التوتر النفسى الشديد

الخامس: التنافر أو التدمير الذاتى (الرعب ، واستهلاك الكحول) ^١

السادس: خطير (للذات و الآخرين) ^٢

٥. يوضح «بوتشر» و زملاءه (٢٠٠٨ م) المعايير التالية لتشخيص السلوك غير الطبيعى:

الاول: معاناة الشخص

الثانى: عدم التكيف مع البيئة (العزلة الاجتماعية، الحاجة الى ملازمة الفراش)

الثالث: الانحراف الاحصائى

الرابع: انتهاك المعايير و القوانين الاجتماعية

الخامس: التحرش الاجتماعى (خلق المتاعب للآخرين)

السادس: عدم القدرة على التنبؤ و كونه مناف للمنطق

٦. يعرب «نولن، هوكسما» (٢٠٠٨م) عن معايير اخرى؛^٤

الاول: الانحراف عن المعايير الثقافية

الثانى: الانحراف عن معايير جنس الانسان

الثالث: السلوك غير الطبيعى

الرابع: انزعاج الشخص

الخامس: عدم التكيف مع البيئة

السادس: بسبب مرض معين

٧. النص المنقح لدليل التشخيص الاحصائى للاختلالات النفسية (DSM. IV. TR)، يحدّد

تعريف الحدود الدقيقة لمفهوم الاختلالات النفسية بما فيه الكفاية. فمفهوم الاضطرابات النفسية

١. Agoraphobia.

٢. dangerousness.

٣. Butcher.

٤. Nolen – Hoksema.

يفتقد إلى تعريف متماسك يقدر أن يشتمل جميع العناصر. يتم تعريف جميع الاضطرابات الطبية بدرجات متفاوتة.

يتم تعريف الاضطرابات النفسية مع المفاهيم المختلفة، كالانزعاج، وانعدام السيطرة، والنقص، والعجز، و المرونة، وعدم العقلانية، ونمط المتلازمين، علم المسببات، و الانحراف الاحصائي. كل واحد من هذه المفاهيم، هي مؤشر مفيد لاضطرابات نفسانية. لكن لا احد منها تعادل ما يعادل ذلك الاضطراب نفسه و الظروف المختلفة بحاجة إلى تعريف مختلفة ايضاً.

وفي DSM. IV. TR، فإن كل اضطراب نفسي بصفة متلازم أو نمط سلوكي أو نفسي جدير بالاهتمام يظهر في شخص، و له علاقة بالانزعاج الحالي (على سبيل المثال، علامة مؤلمة) أو عجز (أعني الاضطراب في واحد واكثر من القيم الوظيفية) أو مع زيادة كبيرة لخطر الموت، ألم العجز أو فقدان الحرية. إضافة إلى أنه لا يجوز أن تكون هذه المتلازمات في التفاعل مع حدث معين الذي متوقع من وجهة النظر الثقافية و مبرر ك وفاة حبيب.

إنّ السبب الرئيسي للاضطراب، يجب أن نتلقاه بصفة اختلال سلوكي، نفسي وبيولوجي في الشخص. فالسلوك الانحرافي (على سبيل المثال، السياسي، الديني، او الجنسي) والاختلاف الذي يظهر في الأساس بين الفرد والمجتمع علامة على اختلال نفسي للفرد. ويمكن أن يعتبر اضطراباً نفسياً ايضاً.

تذكر عالمة النفس «بريرخ دادستان» أربع وجهات نظر لتحديد السلوك غير الطبيعي:

الأول: وجهة النظر الاحصائية.

الثاني: وجهة النظر الثقافية.

الثالث: وجهة النظر النموذجية او تحديد السلوك الطبيعي.

الرابع: السلوك الطبيعي بمنزلة التفاهم مع توقعاتك أو توقعات العالم الخارجي.

٩. «روزنمان» و «سليغمان» هما اثنان من علماء النفس المعاصرين المعروفين، يحددان عناصر السلوك غير الطبيعي مع سبعة معايير، و يوضحان أنه مهما كانت هذه العناصر موجودة أكثر أو مهما نقدر أن نشاهدها أكثر وضوحاً، نجد المزيد من الثقة، أنّ سلوك الشخص هو سلوك

١. النص المنقح ل: راهنای تشخیص و آماری اختلالهای روانی، ص ٢٩.

غير الطبيعي. هذه العناصر هي:

الأول: المعاناة.

الثاني: التنافر.

الثالث: عدم المعقولية و غير قابل للفهم.

الرابع: عدم القدرة على التنبؤ و انعدام السيطرة.

الخامس: الشهرة وعدم طبيعية الشخص.

السادس: عن المعايير الاخلاقية و التصورية

السابع: انزعاج المشاهد

يؤكد هؤلاء (علماء النفس)، أنه من أجل وجود السلوك غير الطبيعي، فانه يتوجب أن يكون أحد العناصر المذكورة أعلاه حاضراً.

١٠. في الأخير، قدّم «سواستلي» و «سو ديويديسو» في التعديل الثامن لكتاب «درك رفتار نا به هنجار» (٢٠٠٦ م) تعديلاً مناسباً لآراء مختلفة في علم النفس على الشكل التالي:

الجدول لتعاريف السلوك غير الطبيعي

التعاريف للسلوك غير الطبيعي			
التعاريف المفهومية	التعاريف العملية	التعاريف المدمجة	تعريف DSM.IV.TR
١ - الانحراف الاصطناعي ٢ - انحرافات عن صحة النفس التصورية ٣ - وجهات النظر المتعددة الثقافات	١ - الانزعاج و القلق ٢ - غير متعارف و غير الطبيعي ٣ - الاعتدال	١ - من وجهة نظر الفرد ٢ - من وجهة نظر المجتمع ٣ - من وجهة نظر الخبراء	يعتبر السلوك الانحرافى و التضاربات بين الفرد و المجتمع يتلقى الاضطراب النفسى عندما كان سمة عن العجز او الاعتلال

ج - الاضطراب و عدم التنسيق

تبيّن أنّ تحديد الفرق بين السلوك الطبيعي و غير الطبيعي أمر صعب، و ليس لدي خبراء الاختلالات النفسية اتفاق في ما بينهم في هذا الامر.

١. راجع «آسيب شناسى روانى»، ص ٨ - ١٢.

فالنصوص الموثوقة في علم النفس وجهت نقداً منطقياً ودقيقاً إلى المعايير التي اتفق على معظمها مثل الانحراف عن المعايير الاحصائية والانحراف عن السلوك الاجتماعي والتناسق في السلوك، واضطراب الفرد والبعد عن معايير السلامة والسلوك النفسي والبعد عن الخصائص الطبيعية للانسان (نظرية الطبيعة البشرية) وقدّمت توضيحاً حولها.^١

إذا كان العذاب و انزعاج الفرد أو انحرافه عن المعايير الاحصائية أو خرقه السلوك الاجتماعي معياراً للسلوك غير الطبيعي، فسيكون نتيجته ما نراه في علم النفس المعاصر والسلوك غير الطبيعي للمثليين الذين يعرضون الفطرة الانسانية.

كانت الرابطة الامريكية للطب النفسي (DSM - I, -DSM 11)، تقدّم الشذوذ الجنسي بصفة مرض نفسي في الدليل التشخيصي الأول و الثاني و الاحصائي للإعتلالات النفسية حتى سنة ١٩٧٤ م لكنها وضعت جانباً عن مجموعة الأمراض و الاضطرابات الجنسية، وذلك في التعديل المنقّح لهذا الدليل (DSM - III - R) الذي نشر في سنة ١٩٨٧ م.

حذف هذا الانحراف الاخلاقي من قائمة الاضطرابات الجنسية لم يستطع أن يغيّر معتقدات أكثر شعوب الغرب حول هذا السلوك.

ففي سنة ١٩٩٨ م صرّح «ترنت لات» زعيم الاغلبية في مجلس الشيوخ الاميركي: إنّ المثلية الجنسية، مثل الادمان على الكحول وجنون السرقة، فإنّه نوع من الاختلالات السلوكية يجب معالجته. حتى أنّ «جري فلاول» أحد المخطّطين الاجتماعيين في اميركا وافق رأى الكثير من الأمريكيين بأنّ حادث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ م كان عقاباً الهيئاً نتيجة زيادة في المثلية الجنسية في الغرب. ولكنه غيّر رأيه بعد حين، بسبب ضغوط انصار المثليين و اضطرّ إلى الاعتذار للمثليين.

يكتب «كاستلوتيموتي» و «كاستلوجوزيف» في كتاب «روان شناسي نا به هنجاري» (السلوك غير السليم) ما يلي:

١. راجع: درك رفتار نا به هنجار (زبان انگليسي) ص ٦-١٣.

٢. Trent Lott.

٣. Jerry Falwell.

٤. Costello, Timothy.

٥. Costello Joseph.

مع أنَّ الرابطة الأمريكية للطب النفسي قامت بتصنيفها الاخير بحذف المثلية الجنسية من قائمة الامراض، لكن الامريكيين ينددون بذلك بشدة وتعارض الدول «الاسكندنافية» بشدة. هل ان القبول و الرفض للسلوك غيرالطبيعي يشبه الى حد بعيد موقف الجماعات السياسية من الدول والمجموعات المؤيدة والمعارضة لها، حيث يضعونها تارة في قائمة الارهابيين وتارة اخرى يحذفونها من القائمة السوداء؟.

من جانب آخر؛ إن كان تعريف الانسان السليم و المثالي معياراً لتحديد السلوك الطبيعي و غيرالطبيعي، كما يقول كولمن فاننا لا نملك نموذجاً مثالياً من الطبيعة والسلوك البشرى. فاننا سنواجه وضعاً شديداً التعقيد

ان اساس اى نظام علاج نفسى هو تحديد الحدود بين السلوك الطبيعي والسلوك غير الطبيعي. يعبر «بروتشاسكا» و «نوركراس» تعدد نظريات العلاج النفسى^١ بغاية العلاج النفسى و يكتبان مايلي:

من المؤسف، اصبح تنوع السلامة بشكل فوضى ومرضى فقد واجه الطلاب، والخبراء، و المرضى بالشرو و الارتباك و عدم الرضا، و مع ذلك يدعى نظام العلاج حقق نجاحاً. فاية نظرية يجب دراستها و تعليمها او رفضها.

فلذا ليس من العجب، أنَّ يعتقد «بوتشر» في مجال السلوك غير السليم بان تعريف السلوك غير السليم سيكون معقداً وصعباً.

ويكتب «روزنهان» و «سليغمان»: لا يوجد تعريف محدد للسلوك غير الطبيعي و ليس لدينا طريقة مؤكدة لمعرفة.

في البحث عن العلل

ما هى جذور هذا الالتباس و الشرو؟ هل هو نُغز الوجود الانسانى كما يراه الشاعر حافظ

١. Brutuski.

٢. Norcross.

٣. نظريه‌هاى روان درمانى، ص ٢٧.

٤. آسيب‌شناسى روانى، ص ٥.

الشيرازي، "سحر وخيال"؟ وهل هو عقدة العوامل الجسدية و الروحية في علم النفس و الاختلافات في الامراض المختلفة والتفاعل أو التضامن لهاتين الساحتين؟ مهما كان يجب أن نعتبرها من أهم المباني الفلسفية للعلوم الانسانية في عهد الحداثة أي أصالة الإنسان (الأومانيسم). الأومانيسم، نهضة فلسفية و أدبية بدأت في المنتصف الثاني للقرن الرابع عشر ميلادية في «إيطاليا» و انتقلت إلى البلاد الأوروبية الاخرى. هذه النهضة إحدى عوامل الثقافة الجديدة. الأومانيسم، فلسفة تحترم القيمة أو المنزل الانسانية، و تعتبرها معياراً لجميع الأشياء. بعبارة أخرى، تجعل الطبيعة البشرية و الحدود ومصلحتها موضوعاً.^١ ظهرت حركة الأومانيسم خلال عصر النهضة كأهم نظام معرفي و احتلت الفكر و الثقافة الغربية تدريجياً.

في العصر الذي يمجّد الانسان، يظهر للإنسان أكثر اهمية من الله، و تعتبر علاقاته مع نظرائه أكثر من علاقات روح الانسان مع الله. يختار الانسان طموحاً طبيعياً و انسانياً، عوضاً عن المثالية العليا الغارقة و الكمال الالهي، و هي الطبيعية و الانسانية.^٢ يعتبر الأومانيسم الإنسان محور الوجود، و يتصوّر الله و الالهة و علامات الغيب و الشهادة، مظهر الانسان وظلّ خليفته. هذا التلقّي الجديد عن العالم والإنسان، يشكّل ثقافة وحضارة مختلفة عن الاهتمام بالالوهية و الأمر القدسيّ فيها ويفسح المجال أمام النظرة الانسانية. يصف «الدكتور السيد حسين النصر» خصائص الانسانية في كتابه «الدين، ونظام الطبيعة» على الوجه التالي:

١. الانسان موجود أرضيّ مستقلّ، لا ينصهر مع العالم المسيحيّ اليماني (الديني) بصورة كاملة. الغرض من الإنسان، هو الإنسان الأرضي لا الإنسان الذي أصبح انساناً عادياً قبل أن يهبط من كماله السّمائي.^٤

١. انسان در نگاه اسلام واومانيسم.

٢. خداوندان اندیشه سیاسی ص ٢٣.

١. دين، نظم، طبيعت، ص ٢١٩.

٢. دين، نظم، طبيعت، ص ٢٢٥.

٢. إنّ الميّزة الرئيسيّة لهذا الانسان الجديد، هي الفردية والنزعة إلى الاستدلال. (rationalism)، فالهدف من الميل إلى الاستدلال هو الاستدلال العقلاني و الفهم التجريبي، مقابل الكشف و الشهود العقليّ الكليّ. يرتبط هذا الميل للاستدلال بالشكوك. صحيح أنّ وجود فضاء من الشكّ حول الاكتشافات العلميّة الكثيرة، لكن ذلك تسبب في فقدان المعرفة القدسيّة و في بعض الأحيان تبدّل إلى أمر قدسيّ.

٣. الميل إلى الطبيعيّة، تعني أنّ الانسان جزء من الطبيعة و ما يهتمّ هو، لذاته الجسمانيّة. أنّه محبوس بسبب حواسّه و يجب ان يسعى لارضائها و اشباعها بلا حدود.

٤. إيجاد نوع من الايمان بالتاريخ (historitism)، حيث يحلّ الزمن التاريخي محلّ السرمديّة، و وهذا يفضي إلى عواقب عميقة مثل التقدّم المادّي غيرالمتناهي، والتكامل والتطوّر الدارويني الاجتماعيّ، ومسؤوليّة الانسان الأبيض، وإنكار الحقائق ما وراء التاريخيّة و العديد من التطوّرات الأخرى.

٥. ظهور تصوّر جديد للحرية وهو في الواقع يمكن اعتباره العنصرالرئيسي للإنسانيّة في العصر البشري و المجتمع البشري. هذا الدرك الجديد من الحرية، هو في الاساس بمعنى الاستقلال عن العالم القدسي و النظام الكوني. فالإنسان هو بذاته مسيطر على سفينة حياته وقائد هذه السفينة.

٦. أفضليّة العمل، على أساس نظريّة (الكشف و الشهود) و أفضليّة الفعل و هو وصف الانسان المتجدّد و أثره سيكون تخريب عالم الطبيعة.

٣. نفس المصدر ص ٢٢٨.

٤. نفس المصدر، ص ٢٣٦.

٥. نفس المصدر، ص ٢٢٨.

١. دين و نظم طبيعت، ص ٢٢٨.

٢. نفس المصدر ص ٢٣٥.

٣. نفس المصدر، ص ٢٣٦.

٤. نفس المصدر، ص ٢٣٧.

مع هذه الخصائص، فإن الصورة الرئيسية للإنسان في مختلف المدارس الفكرية في الغرب مع اختلاف نظرات بعضهم لبعض هي، أنَّ الإنسان بصفة إله الأرض و فاتح الطبيعة و باني مصيره و مستقبل الحضارة.

فوجهات النظر التقليدية حول الإنسان تتمحور حول عالم محوره الله؛ بينما الأومانيسم، تقوم بالضرورة على أنَّ الإنسان هو المحور والاساس.

على هذا، فإنَّ تلك الجماعة البشرية التي يوصف بوضوح بأنَّه عالم ذو مركز الهي، تمَّ الطعن فيه بعد عصر النهضة من قبل الأنواع البشرية الجديدة. و الآن هذا النوع البشري الجديد، يعتبر نفسه مركز الكائنات و يحطّ علمه إلى دائرة بدون مركز. و هذا ما يجعل له عواقب مدمرة للنوع البشري و لنظام الطبيعة. لانتنا نعلم جيداً عندما يزول مركز الدائرة، يزول محيط الدائرة.

ملخص القول، إنَّ تعاليم علماء الطبيعة و الإيجابيين في القرن التاسع عشر، تفضي إلى فرضية الإنسان الصانع للأدوات، و هي فرضية تعتبر الفرق بين البشر و الحيوانات فرقاً في الدرجات، و ليس جوهرياً و لا ذاتياً.

إنَّ محو جميع الصفات التي كانت تميّز الإنسان عن الحيوان و انهدام التسلسل الهرمي الذي يحدّد الشؤون البشرية بناء على اختبار الحكمة، أو الغفلة أدى إلى تخفيض مرتبة الإنسان في إيديولوجيات جديدة باحدى الحركات، و هذه الحركات تعتبر القوة الدافعة للتاريخ.

إنَّ القوة الدافعة أو الغريزة الجنسية لفرويد و إرادة السلطة لشوبنهاور و «نيتشه» و «آدلر» و عوامل انتاج «ماركس».

هذا المنهج التخفيضى، يوجد انساناً فارغاً، و على قول «موزيل»: انسان بدون خاصية يقدر

٤

أن يتقلب في كل قالب جديد.

ه - عبور الى آفاق اخرى

كان الدين و الأخلاق مسؤولين عن تعريف ماهية الإنسان و تحديد معايير السلوك الطبيعي و

السلوك غير الطبيعي، و تعريف معايير السلوك الطبيعي وغير الطبيعي وتعريف أساليب إصلاح الصفات الحميدة خلال قرون متمادية قبل ظهور علم النفس من حضن المعارف التجريبية و النمو، و تطوره بواسطة راى علم العداء لله فى عصر النهضة و الحداثة. (ارغيل)

و الآن، حين ندرس كتب الاختلالات النفسية والنصوص الأخلاقية ندرك أنه باستثناء الأمراض التى أكثرها من أصل بيولوجي و عصبي، فإنّ المشاكل السلوكية الأخرى هي موضوع مناقشة في كل مجالات العلم. وعلى سبيل المثال، فيمكن أن نجد موضوعات وعناوين عن الاختلال الخلقي والاضطرابات والسلوك المذموم والجنسي والسيطرة والعيش بسلام فى النصّ المنقح للدليل التشخيصي و الاحصائي الرابع للاضطرابات النفسية. (DSM. IV. TR)

فمثلاً نستطيع أن نجد فى كتب الاخلاق الاسلامية مثل «احياء العلوم» و «اخلاق ناصري» و «جامع السعادات»، مواضيع وعناوين تندرج فى مجال: القلق والحسد و التشاؤم والسيطرة على النفس و الصبر، حيث أنّ لها مكانة معروفة فى نصوص علم النفس. ولهذا السبب علينا أن نتابع بحوث السلوك السليم والسلوك السقيم والصفات الانسانية فى الكتب الاخلاقية.

من جانب آخر، نواجه فى الأعمال الأخلاقية، موضوعات مثل الغضب، الحسادة، التشاؤم، ضبط النفس و الصبر، التى لها منزلة معروفة فى نصوص علم النفس. و على هذ سرد السلوك الطبيعي و السلوك غير الطبيعي و السمات الانسانية فى الكتب الاخلاقية أمر مقبول.

١- السلوك الطبيعي و السلوك غير الطبيعي فى الاخلاق

فلسفة الأخلاق أو الأخلاق النظرية تحكي عن مبادئ علم الاخلاق و تسعى الى تحديد ملاك الجمال (الحسن) و السوء (القبح) فى الأفعال الانسانية و الأفعال التى تصدر عن اشخاص يملكون شعورا و إرادة. فكلّ الفلاسفة الالهيين و المتكلمين المسلمين و علماء علم الاخلاق قد ناقشوا هذه القضية كلّ حسب دافعه وأسلوبه الخاص. فأهمّ دافع دفع الفلاسفة والمتكلمين لدراسة هذا الموضوع مناقشة أفعال خالق هذا العالم. وقد بادر علماء علم الأخلاق بدرس هذه القضية بثلاثة دوافع:

الأول: إعادة التعرّف على معايير الأعمال الصالحة عن الأعمال السيئة.

الثاني: كشف السرّ خلود بعض القيم الأخلاقية.

الثالث: فهم كيفية تواصل ما هو واجب و مالميس بواجب في الأخلاق، و ما هو كائن وما ليس بكائن في الفلسفة.

من بين الفرق الاسلامية، يعتقد الشيعة و المعتزلة بحسن و قبح أفعال الانسان الذاتية. و في المقابل، يلحّ الأشاعرة على أنّ الأمر و النهي الالهي مثبت لخير و شر الأفعال. جدير بالذكر، أولاً، الغرض من الذاتي هو العقلي أى الحكمة عند فهم الحسن و القبح بدون مساعدة خارجية.

وثانياً، ليس لجميع أفعال، الحسن و القبح الذاتي و العقلي، و على افتراض الثبوت لا يقدر العقل و الحكمة فهم الجميع.

فقد وضع علماء الاخلاق الاسلامية فى كتبهم معايير لحسن و قبح الأفعال منها:

أولاً: الكمال و النقص:

بعض الصفات هي كمال النفس والبعض الآخر، عكس ذلك. فعلى سبيل المثال، عندما نقول «العلم جيد» معناه أنّ العلم كمال وعندما نقول «الجهل سوء»، معناه إنّ الجهل عيب و نقص.

ثانياً: التوافق و عدم التوافق مع الطبع

الجيد، هو كل شىء يتناسب مع ميول و رغبات الانسان، والقبيح هو كل شىء لا يتناسب مع رغبات الانسان. فبعض علماء الاخلاق قالوا هروباً من النسبية، أنّ المراد من الطبع روح و نفس الانسان المملوكتى و ليس طبيعته الحيوانية التي يشترك الانسان و الموجودات الأخرى فيها.

ثالثاً: التناسب و عدم التناسب مع الهدف

هذا المعيار خلافاً للمعيارين الماضيين الذين ليس لديهما أصل تجريدي، خارج عن نفس الانسان و يحصل عن العلاقة الحقيقية بين فعل و غرض و أهداف الانسان. إذا كانت هناك علاقة إيجابية بين الفعل و هدف الشخص، يصبح فعله متّصفاً بصفة الحسن

١. المصدر نفسه، ص ٢٣.

٢. المصدر نفسه، ص ٣٠.

و ألا فإنه يعتبر قبيحاً و سيئاً. هناك أشخاص يعتبرون الغرضين و المصلحتين للبشر ابتعاداً من هاوية النسبية، و هما الفردية و النوعية. يقول هؤلاء: يمكن للمرء أن يذكر الأهداف و المصالح لتشخيص المعيار عندما تكون تلك الأهداف و المصالح حافظة لبقاء النوع و عودة السعادة للمجتمع البشري.

رابعاً: المدح و الذم

الحسن هو عمل يُحظى بمدح جميع عقلاء العالم، و فاعله يستحق الثواب الأخرى، و القبيح هو عمل يدينه جميع عقلاء، و فاعله يستحق العقاب الأخرى. هذا المعيار مُتنازع عليه من قبل العدلية و الأشاعرة.

يعتقد العدلية بأن عقل الانسان يستطيع أن يفهم معيار مدح بعض الأفعال و أيضاً قادر على فهم معيار ذم بعض الأفعال الأخرى. و يعتقد الأشاعرة أن العقل غير قادر على القيام بمثل هذا الفعل.

٢- وجهة نظر الفلاسفة

لقد حاول بعض الفلاسفة أن يشرحوا معيار الصواب و الخطأ في الاخلاق (أي الافعال الاختيارية للإنسان). اننا نستفيد من آراء عدد من الفلاسفة المشهورين بالمراجعة للمجلد الثاني من كتاب «آشنائي با علوم اسلامي» (التعرف على العلوم الاسلاميّة) للأستاذ مرتضى المطهري.

الأول: راسل:

ما يجب و ما لا يجب و الحسنات و السيئات، هي امور نسبية و ذهنية. والمعاني الأخلاقية ليست مسائل عينية يمكن تجربتها و اثباتها منطقياً.

يُعرب «راسل» في كتاب «فلسفة الغرب» عن عجزه في التحديد الدقيق لسيئ الاعمال وحسنها ويقول:

هذه قضية صعبة. أنا لا أدعى حلّها. هذه إحدى القضايا الفلسفية التي لم يصدر حكم نهائي حولها حتى الآن.

الثاني: أفلاطون

١. راجع (نقد و بررسی مکاتب اخلاق)، ص ٩٠ - ٩٣.

٢. آشنائي با علوم اسلامي (حکمت عملی)، ص ١٩٣.

يعتقد أفلاطون بأن ثلاثة أشياء لها قيمة فقط: العدالة، والجمال، والحقيقة. وهو يعتبر الخير مرجعاً لهذه القيم. من وجهة نظر أفلاطون، فإنّ الخير ولو كان أخلاقياً، حقيقة موضوعيّة و مستقلّة عن ذهننا. يعني كموضوعات علم الرياضيات أو الطبيعيات التي موجودة بغضّ النظر عن ذهننا، يوجد أخلاقياً أيضاً.

الخير الأخلاقي موجود أيضاً الخير واحد للجميع، فلذلك إنّ الأخلاق للجميع و له معادلة واحدة.

الثالث: أرسطو

من وجهة نظر أرسطو، فإنّ الحسن هو السعادة. هو يعتبر الأخلاق و في الحقيقة طريق السعادة، رعاية الاعتدال، أي الوسط. ويعتقد أنّ الفضيلة أو الاخلاق هي الحدّ الفاصل بين التّشدّد و التّطرف. لكلّ حالة نفسيّة حدّ معيّن، و الأقلّ منه أو الأكثر منه هو الرذيلة. و ذلك الحدّ نفسه يعتبر فضيلة.

الرابع: كانط

إنّ أشهر نظريّة أخلاقيّة جديدة في القرنين الماضيين لكانط. يمكن تلخيص نظريّته هكذا: نحن نفرق بين الأمور. نعتبر بعضها أخلاقيّة و بعضها الآخر غير اخلاقيّة أو معارضة للأخلاق. العمل الاخلاقي ذو قيمة و جدير بالمدح. لكنّ العمل غير الأخلاقي، له قيمة سلبية و مهينة و جدير بالذّم و هو عمل غير أخلاقي، ليس ذي قيمة وليس ضدّ القيم. العمل القيم يكون قيماً إذا كان طوعياً و ينفذ بكلّ حرّية. و لذلك إن كان عن كرهٍ أو قسراً فلا قيمة له.

فالعمل القيم هو العمل الذي يأتي طوعاً و عن ارادة حرّة، فهو ذو قيمة إن كان نتيجة حسن الارادة، و إنّ حسن الارادة هو الذي يأتي نتيجة دافع خير، و دافع الخير يعني الشعور بالواجب. ما هو الغرض من الواجب؟ الغرض من الواجب هو الأمر الذي يأخذه الانسان من ضميره، و هذا الأمر نوعان: البعض مطلق و البعض الآخر مشروط. الأمر المشروط، أمر يُصدره ضمير الانسان للوصول إلى الهدف. الأمر المشروط هو الارشاد إلى مصلحة. كما أنّ اختيار أيّ وسيلة

١. آشتاني با علوم اسلامي (حكمت على)، ص ١٩٩.

٢. نفس المصدر، ص ٢٠٣.

لتحقيق هدف معيّن هو المصلحة. لكنّ الأمر المطلق، هو أمر لا يخضع لأيّ شروط. هو أمر يُصدره الضمير لا لمصلحة و لا لوسيلة، و طريق للوصول الى هدف بل لأجل الواجب و التكليف و المسؤولية فقط.

فالغرض من الواجب والتكليف هو أمر بدون شرط الضمير للشيء، و كلّ عمل يُفعل لأجل هذا الشعور بالتكليف، هو عمل أخلاقيّ. الأوامر الشرطية، أوامر تجعل الانسان يحاول كسب العيش، و الأوامر المطلقة هي أوامر تُصدر الأوامر الأخلاقية. و الضمير الإنساني في الجزء الذي يصدر مثل هذه الأوامر يسمّى الضمير الأخلاقيّ.

يقدر الانسان أن يطيع الأوامر الشرطية لضميره، و في الحقيقة تابع عن رغباته و غرائزه. و أيضاً يستطيع أن يطيع ضميره الأخلاقيّ الذي يتجاوز الرغبات. و في هذه الحالة سيكون سلوكه أخلاقياً.

ماهو المعيار الذي يحدّد أنّ السلوك ملهم عن الضمير الأخلاقيّ أو الرغبات و الغرائز؟ يذكر «كانط» معايير كالتالي:

الأول: تصرف وفقاً لقاعدة تمكنك عندما تريد أن تكون تلك القاعدة قاعدة عامة.
الثاني: تصرف كما لو كنت تستهدف الانسانية (نوع البشر) سواء في نفسك أو في الآخرين و لا تعتبرها اداةً.

٣- علماء الاخلاق الاسلاميون و مؤلفاتهم

تمّ الاهتمام في التّصوُّص الأخلاقية (خاصّة أعمال أفلاطون و أرسطو) في ثقافة عالم الاسلام متزامناً مع نهضة ترجمة الكتب الفلسفية من اللغة اليونانية.

في ذلك الوقت، كان المتكلّمون و العرفاء و المتصوّفة يهتمون بالسلوك العمليّ و التقشّف، و بهذا المنهج تعرفوا على المهلكات و المنجيات الاخلاقية.

اعتنى جماعة «إخوان الصفا» في القرن الرابع الهجريّ، بالحياة الأخلاقية بجانب الفكر الفلسفيّ، و مرّجوا الفكر العقلانيّ مع الذوق العرفانيّ.

كان أبو الحسن العامريّ (م. ٣٨١ ق) من المفكرين الاوائل الذين كتبوا كتاباً مستقلاً في علم

١. راجع: آشنائي با علوم اسلامي (حكمت عمل)، ص ٢٢٣ - ٢٢٧.

١. علم اخلاق اسلامي / التراقي / ١٨.

الأخلاق، و كان من قادة الفكر الفلسفي قبل ابن سينا. وهو الذي أكثر أبحاث كتابه «السعادة والإسعاد في السيرة الانسانية» و هي مستقاة من الأعمال الأخلاقية لأفلاطون و أرسطو، كما نظر إلى الصوفية أيضاً.

اختار «ابن مسكويه» (م ٤٢١ ق) و هو من معاصري «ابورحان البيروني» و «ابن سينا» في كتاب «تهديب الاخلاق و تطهير الاعراق» منهج «أرسطو» و طرح القضايا الأخلاقية على منهج فيلسوف اليونان. وهو مزيج عن آراء «أفلاطون» و «أرسطو» و «جالينوس» و أحكام شريعة الإسلام، و ساد فكر الأرسطي على عناصر الفكر الأخرى في أعماله.

كان «أبو حامد محمد الغزالي» (٤٥٠ - ٥٠٥ ق) أشهر المؤلفين و المحللين للقضايا الأخلاقية. و مع خلافه لأرسطو، فقد ناقش القوى الثلاثة في نفس الانسان (أي الشهوة والغضب و العقل) و الفضائل الأربعة (العفة و الشجاعة و الحكمة و العدالة) بدقة، و أوضحها على منهج الفيلسوف اليوناني في كتابه «معارج القدس في مدارج معرفة النفس»؛ لكن في كتابيه المشهورين «إحياء علوم الدين» و «كيمياء السعادة» اللذين ألفهما باللغة العربية و الفارسية في الأخلاق، قبل القوى الثلاثة (الشهوة و الغضب و العلم للقلب) و حاول أن ينظم أبحاثه و يشرحها على موازين القرآن و الأحاديث النبوية و آراء العرفاء و المتصوفة. قسم الغزالي المهلكات و المنجيات في هذين الكتابين، حول الصفات الأخلاقية السيئة و الحسنة.

عالم آخر، هو «نصير الدين الطوسي» (٥٩٧ - ٦٧٢ ق) من أشهر علماء الاسلام و الامامية، الذي كتب كتابه المشهور «أخلاق ناصري» من أجل شرح و تكملة كتاب «تهديب الأخلاق» و مثل ابن مسكويه أخذ أكثر أبحاثه بأقوال الحكماء خاصة «أرسطو».

أعرب «الطوسي» في كتابه الاخلاقي الآخر «أوصاف الأشراف» على منهج آخر عن مراحل السفر و السلوك.

ألف العالم والمفسر و المحدث الشيعي الكبير «الملا محسن الفيض الكاشاني» (م ١٠٩١ ق) الذي عاش في العهد الصفوي، ألف كتابيه «الحجة البيضاء في تهذيب الاحياء» و هي في الحقيقة النص المنقح لكتاب «إحياء العلوم» للغزالي، و «الحقائق في محاسن الاخلاق»، و هي

الكتاب المشهور الآخر في الأخلاق الإسلامية «جامع السعادات» للملا «مهدى النراقي» (م ١٢٠٩ ق). فقد حرّر كتابه و نظمّه على المبادئ الفكرية الخاصة و الأسلوب المبتكر. فكتاب «جامع السعادات» مثل أعمال العامري و «ابن مسكويه» و «نصيرالدين الطوسي» يقوم على الفلسفة و افكار «أرسطو»، و من جانب آخر فكتاب «احياء علوم الدين» و «كيمياء السعادة» و «المحجة البيضاء» و «الحقائق» يعتمد على الجوانب الدينية و العملية، و في الحقيقة أقام توازناً بين العقل و الفلسفة، والجانب النظري للأخلاق مع الدين، والعرفان و الجانب العملي للأخلاق مع الايضاح أنّ علماء الأخلاق الإسلامية ينقسمون في مسألة تحديد حدود السلوك العادي و غيرالطبيعي و تصنيف الصفات الانسانية إلى جماعتين رئيسيتين:

الجماعة الاولى:

يعتقد «ابن مسكويه»، و«نصيرالدين الطوسي» و «النراقي»، مثل أرسطو في نظريته التي تقوم على أنّ النفس تقوم على أربع قوى؛ وهي: العقلية، والواهمة، والغضب، و الشهوة. ويعتبر نصيرالدين الطوسي، قوة الواهمة أو الخيال جزءاً من القوة العقلانية أو الناطقة، و لذلك يعتقد بثلاث قوى للنفس و هم يحدّدون الصفات الحسنة و السيئة في الأخلاق بمعيّار الحدّ الوسط لهذه القوى النفسانية. يعنى إنّهم يعتبرون السلوك العادي و في تفسيرهم الفضيلة باستخدام جميع القوى النفسانية حدّاً وسطاً للتشدد و التطرف.

يكتب «نصيرالدين الطوسي» في «اخلاق ناصري» ما يلي:

لكلّ فضيلة حدّ، فعندما يتجاوز عنه و يميل إلى الغلو أو التقصير، يصاب بالرديلة. ولذلك بازاء كلّ فضيلة، تكون الرذائل غيرمتناهية. لأنّ الحدّ الوسط مُتَنَاهٍ و أطرافه غيرمتناهية. تحدث أقسام الأمراض النفسانية من هذه الأصناف للرذائل.

العتور على ميّزات الحدّ الوسط يكون صعب جداً، حيث فسّر علماء الأخلاق جسر الصراط

١. راجع: منطلق و معرفت از نظر غزالي.

٢. راجع «اخلاق ناصري» ص ١١٧-١٢٢.

١. علم اخلاق اسلامي، النراقي، ص ١٣.

يعتقد «الترقي»: أنه من أجل التخلص من هذا المشكل، يجب أن تعتبر حدّاً وسطاً نسبياً أو إضافياً في الأخلاق و لاحقاً وسطاً حقيقياً. الحدّ الوسط الحقيقي هو حدّ نسبته إلى كلّ الجانبين متساوياً، مثل الأربعة بالنسبة إلى الستين كما أنّ المزاج الحقيقي الذي أنكره الأطباء. هو الحدّ الوسط النسبي حدّ أقرب تحقّقه من نوع أو شخص على حدّ الامكان من الحدّ الوسط الحقيقي و يتحقّق كمال المستحقّ للنوع و الشخص به وإن كان لم يصله.

ولذلك فالتسمية إلى الوسط (و إن لم يكن وسطاً حقيقياً) بالنسبة إلى أطرافه التي أبعد عن الوسط الحقيقي بنسبتها. و هذا مثل الاعتدال النوعي أو الشخصي الذي أثبتّه الأطباء، و الغرض منه اعتدال يليق بكلّ نوع أو شخص، و يسمّى الاعتدال الاضافي أو النسبي. لأنّ الحصول على الوسط الحقيقي والاستقامة عليه صعب جداً. فلذلك تختلف الفضيلة مع تنوّع الأشخاص و الأحوال و الأزمنة، و ربّما تكون درجة من الاعتدال و الحدّ الوسط التّسبي فضيلة، نظراً إلى الشخص أو حاله أو وقته المحدّد، و تكون نفسها رذيلة بالنسبة إلى غيره.

الجماعة الثانية

«الغزالي» و الذين ساروا على حُطاه مثل «الفيض الكاشاني»، «العيناثي» (في القرن الحادي عشر مؤلف كتاب «آداب النفس»)، و «السيد عبدالله الشير» (م ١٢٤٢ ق)، حدّدوا السمات و السلوك غيرالطبيعيّ تحت عنوان «المهلكات»، و السلوك و الاخلاق الحميدة تحت عنوان «المنجيات»، مع التخطيط العامّ لثلاثة قوى، الشهوة، الغضب و العقل للانسان بدون الانحراف في الجزئيات. كانت المصادر الرئيسيّة لتصنيفهم، هي القرآن، اقوال النبي ﷺ، ائمة الشيعة، الآراء و منهج الصوفيّة (خاصّة الغزالي). قد تمّت الانتقادات الكثيرة على هذين المنهجين، و نحن نشير إلى أهمّهما مجملًا:

لا شكّ أنّ لنظرية «أرسطو»، جزءاً من الحقيقة، لكن الاعتراض الرئيسيّ الذي يمكن إجراءه على نظرية «أرسطو»، هو: أنّ «أرسطو» يعتبر مهمّة علم الاخلاق، تحديد أفضل الطرق (الطريق الوسطي) للوصول إلى الهدف (السعادة). بعبارة أخرى، يعتبر «أرسطو» الهدف محدّداً. الأخلاق الأرسطي لايعطى الانسان الهدف، بل يظهر الطريق للوصول إلى الهدف، بينما يمكن أن يقال،

مهمة المدرسة الأخلاقية هي تحديد هدف الانسان، يعني ليس الانسان بحاجة إلى الإرشاد هدفاً. إضافة إلى ذلك فإن الأخلاق الأرسطية، حدّدت الهدف السعادة، لقد افترض أنّ الانسان يبحث عن سعادته باستمرار. و لذلك يجب أن نهديه لطريق السعادة. في الحقيقة، فقد أخذ «ارسطو» العنصر الأساسي في الأخلاق (القداسة) من الأخلاق.

فالأخلاق تتحقق قداسته من طريق نكران الذات و الإنانية، و بعبارة اخرى الخروج من الإنانية. بينما في الأخلاق الأرسطية تقوم نظريته التي يعتبر فيها الهدف السعادة على التركيز على الذات.

ادّعى بعض الفلاسفة مثل «راسل» (في كتاب «تاريخ فلسفة الغرب»): أنّه لا يمكن تبرير الأخلاق الفاضلة كلّها بمقياس الحدّ الوسط. فمثلاً الصداقة، هل هي الحدّ الوسط بين التشدد و التطرف. الصداقة حسنة و الكذب أي عكسه سيئ (لا تشدد و لا تطرف).

التطرق إلى الأمور الذهنية مثل الحدّ الوسط الحقيقي و النسبي - الذي يتعارض فيه بين «نصيرالدين» و «التراقي» - وهو تحديد أربع فضائل لا يمكن تحقيقها كصفات و السلوك غير الطبيعي و عكسها ميزة السلوك غيرالطبيعي و هي غير متناهية. و استقرار الخصائص الأخلاقية هي نقاط ضعف اخرى لهذه النظرية.

في المنهج الثاني، تمّ نقد كتاب «احياء علوم الدين» للغزالي من قبل الباحثين الكثيرين، وكان منذ بدء تأليفه مصدراً و منشأ علمياً لمئات الاعمال الاخلاقية.

بيّن الحافظ «ابن الجوزي» العالم الكبير لاهل السنّة في كتبه، «إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء»، «المنتظم» و «تلييس ابليس» عن جزء من الخرافات التي جاء بها الغزالي بعبارات مخالفة للعقل و كلمات غيرعلمية، نشاهد مقتطفاً منها في المجلّد الحادي عشر من «الغدير»، للعلامة «الاميني». فمثلاً يكتب الغزالي في كتاب «رياضة النفس»: لما شاهد أحد كبار العلماء في بدء برنامج البناء الذاتي، ضعفه عند سهره و قيامه بالعبادة، فأنّه أجبر نفسه أن يقف على رأسه طوال الليل. يعني أن يضع رأسه للأسفل و يمد ساقيه لأعلى. الآن قارنوا هذا الامر الاخلاقي وخطاب الله عز وجل لنبيه الكريم:

١. راجع: آشنائي با علوم اسلامي.

«طه مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى»

يكتب الامام الخميني، الفقيه، والعارف و الفيلسوف الالهي، الذي له منزلة عالية في العلم و ممارسة الاخلاق الاسلامية في مقدمة كتاب «شرح حديث جنود عقل و جهل» مايلي:

علماء الاخلاق الذين جمعوا هذا العلم أو قد ناقشوا ذلك بطريقة علمية و فلسفية مثل كتاب «طهارة الاعراق» للشريف المحقق الكبير «ابن مسكويه» و كتاب «أخلاق ناصري» للشريف الحكيم المتأله و الفيلسوف المتبحر و افضل المتأخرين، نصير الملّة والدين ولم يجدوا في كثير من اجزاء كتاب «احياء العلوم» للغزالي، تأثيراً كبيراً على تنقية الاخلاق و تطهير الباطن. ويضيف الامام الخميني أنّ كتاب «احياء العلوم» الذي يمدحه جميع الفضلاء و يعتبره بدء علم الاخلاق و ختمه، لم يساعد على اصلاح الأخلاق و إزالة الفساد و تهذيب الباطن، بل إنّ كثرة الأبحاث الاختراعية و زيادة الفروع العلمية و غير العلمية و كثرة المقتبسات الصحيحة و الكاذبة، تمنع الإنسان من الوصول إلى الهدف الرئيسي و يؤخر التطهير و تنقية الأخلاق.

٤- الأخلاق في المجاميع الحديثة

إنّ المحدثين الاسلاميين الكبار بوّوا القضايا الأخلاقية في كتبهم بأسلوب فكريّ خاص. فقبل أن ندرس ميّزات «الكافي» نتصّحّ موسوعتين معتمدتين للرواية.

خصّص «الشيخ الحرّ العاملي» (م ١١٠٤ ق) في كتاب الجهاد من «وسائل الشيعة» (المجلّد الحادي عشر) مائة و واحد باب لجهاد النفس.

فهو يذكر في الباب الأوّل عشر روايات حول وجوب جهاد النفس، ثمّ أنّه يعدّد أعضاء الجسد، لأنّ حركاتها هي تحت تصرّف الانسان؛ فاللسان يبيّن حجج الله و يذكر حقوق كلّ واحد من أعضاء الجسد أو مهمّاتهم التي حدّدها الخالق الحكيم.

ثمّ أوضح في خمسة و ثلاثين باباً أهمّ الصفات الحميدة للانسان مثل اليقين، والقناعة، والصبر، والشكر، والحلم، وحبس الخلق، والسخاء، والغيرة، والشجاعة، والصداقة و.... ثمّ أوضح في عشرة أبواب ضرورة الاهتمام بإصلاح الذات فوق كلّ شيء و قبل اظهار الحساسيّة تجاه الآخرين

١. طه، الآية ١-٢.

٢. راجع كتاب: حديث جنود عقل و جهل، ص ١١-١٣.

و تجنّب مجالات الخطيئة (مثل الحيلولة دون النوع الأول) ثم يأتي بروايات حول الذنب أو الأمراض الاخلاقية المهمة في أربعة و ثلاثين باباً، و في الاخير يقدّم أساليب التوبة و الشفاء في عشرين باباً.

فالمسار المنطقي و العلمي للحرّ العاملي كما يلي: وجوب البناء الذاتي، حقوق أعضاء الجسد (السلوك الواضح)، الصفات الحميدة (الميزات الباطنية للشخصية) السلوك و الصفات السيئة، المجالات و طرق الوقاية، الضرورة و طرق التدخّل و العلاج.

رُتّب كتاب «اوصاف الاشراف» و الأدقّ منه «الكافي» على نفس المنهج (تفضيل أسبقية الخصائص الايجابية على الخصائص السلبية و موانع تنمية البشر).

يسعى خبراء علم الاخلاق أن يضعوا الأجزاء الأولى من علم الأخلاق، التعرّف على الرذائل و طرق إزالتها؛ و على هذا يستحقّ «المحقّق الطوسي» النقد لأجل الباب الأول لأوصاف الاشراف حول الايمان، النية، صدق الإنابة و الإخلاص، و بابه الثاني حول إزالة العوائق عن السير و السلوك.

رُتّب كتاب «جامع أحاديث الشيعة» الذي ألّف إشراف آية الله البروجردي، على منهج وسائل الشيعة. و ضمتّ المجلّدات السادس عشر إلى الثامن عشر، تسعة و ثمانين باباً حول أبحاث جهاد النفس. الترتيب و عدد الأبواب هكذا:

وجوب جهاد النفس (عشرة أبواب)، الذنوب (ثلاثة و أربعون باباً) الصفات الحميدة (ثلاثة وعشرون باباً)، التوبة (ثلاثة عشر باباً). لا يعلم لأيّ شيء يأتي المؤلف خلافاً للمؤلفين الروائيين الآخرين بالفضائل الأخلاقية مثل كظم الغيظ، الصبر، الصمت، الشكر، الصداقة، الوفاء بالعهد، السخاوة، العمل الصالح، و الزهد في قسم الذنوب وقام بشرحها.

و- «الكافي»؛ أصول الانثروبولوجيا و تصنيف الصفات و السلوك

الشرط الأساسي لحرية الإنسان هو أنّه يظهر سلوكاً مختلفاً و متعارضاً. السلوك الواضح، يمثّل فكراً غير مرئي و هو مظهر من مظاهر صفات الإنسان.

كيف و بأيّ معايير، نصنّف هذا التنوّع من السلوك، والأفكار و الصفات؟ يمكن تقسيم هذه

الصفات إلى مجموعتين، إيجابية و سلبية:

الحجة و الحق، و العدل و الظلم، والعفة و التهتك، والزهد و الرغبة بالدنيا، والصدقة و الكذب و على قول الشاعر «حافظ» الشيرازي:

المستور و السكر، ليسا من قبيلة واحدة. من الذى يفكك هذه السلوكات بعضها عن بعض و يضع عليها علامات إيجابية و سلبية؟ عقل الانسان، هو ميزان دقيق لاختبار كثير من الأمور. لكن أليس إحدى ميزات الانسان هي: إن إستمرّ على عمل سيّء؛ شغف به و رآه حسناً. يعلق «ارونسون» عالم النفس الاجتماعى على نظرية «التنافر المعرفى» بقوله:

ليس قسم عظيم من سلوكنا عقلاً، و إن كان يبدو ذا معنى من وجهة نظر شخصي ما. تقول المؤرخة المعاصرة «بارابارا تاكمن» فى بداية كتابها «سير نابخردى» حول العقل:

العقل مبنى على التجربة، و العقل الصحيح و المعلومات المتاحة. لكنّها عندما تريد أن تستكشف سلوك الحكّام الذين دمّروا بلادهم لأجل اختبار الطرق الخاطئة تقول خائبة: الخيبة لاتعرف الزمان و المكان. هي أمر عامّ مترابط و اللاحاح على الانحراف أو عدم العقلانية موجود فى فطرة الانسان.

علم النفس و الأخلاق يبحثان عن معايير لتفكيك السلوك و الصفات الحميدة و السيّئة عند الانسان أكثر من العلوم الأخرى. لقد قيل من قبل أنّ علماء النفس يختلفون بعضهم مع بعض فى تعريف حد السلوك الطبيعي و غير الطبيعي و يختارون عناوين واحدة فى بعض المعايير و يستخدمون نوعاً من الاشتراك اللفظي. فتعين التعب و قلق الشخصي الذى هو معيار متّفق عليه من قبل كثير من علماء الأمراض النفسية، يختلف على عدد المرضى و عدد المقيمين حتّى فى معايير مثل المعايير الاحصائية، و الاجتماعية و الثقافية.

أصل هذا التيه، فى محورية الانسان و على قول «رينيه جينوه»، «الفردية» هي فلسفة خلافاً للعصور السالفة، عمّت الحضارة الحديثة.

علمنا أنّه فى مجال الأخلاق، قبل أكثر علماء الأخلاق نظرية قوى النفس لأرسطو، و سمي

١. سورة الفاطر، الآية ٨.

٢. روان شناسى اجتماعى، ص ٢١٥.

٣. نفس المصدر، ص ٥٠٢.

١. بحران دنيای متجدد، ص ٨٦.

الاعتدال و هو تحديد ذهني لحدّ وسط لكلّ القوى النفسانية، والفضيلة أو السلوك و السلوك الطبيعي و النقاط الأخرى جانبه، أي التّشدّد و الافراط لا نهاية لهما، كما هو الحال في الرذيلة أو السلوك غير الطبيعي.

في عالم الاسلام، حاول علماء مثل «ابن مسكويه»، و«الغزالي»، و«نصيرالدين الطوسي» و«النراقى» أن يمزّجوا هذه النظريّة مع الآيات و الروايات و يلبسوها اللباس الدّيني. فاذا ألقينا نظرة سريعة على عناوين الفضائل و الرذائل في كتب «أخلاق ناصري» و «جامع السعادات» و أسماء المنجيات و المهلكات في أعمال «الغزالي» و «الفيض»، ثبت رأي الامام الخميني وقوله أنّ تصانيف هؤلاء الكبار غير علميّة و مبتكرة من جانبهم.

جمع الشيخ الحرّ العاملي، الروايات الاخلاقيّة بترتيب بسيط و منطقيّ، و نظّم كتاب جهاد النفس لوسائل الشيعة على منهج الرواة و الفقهاء متجاهلاً مباني الفلاسفة و العرفاء، و إن كانت هذه محاولة ممدوحة لكن لا تزال الحاجة إلى نظام فكريّ و نفسيّ على أساس الاعتقاد بالله و علاقة الانسان بذاته المقدّسة و عرض معيار حقيقيّ و دقيق للوصول إلى الميّزات الايجابية و السّلبية للانسان و التّعرف على الطريق للوصول إلى الكمال المطلوب.

فكتاب «الكافي» لمحمد بن يعقوب الكليني، الفقيه الشيعي الكبير، هو العالم و العارف بالاخبار، و على قول، كان مجدّداً للدعوة الاماميّة في بدء القرن الثالث للهجرة، ويمكن أن يكون مطمئناً و متيناً للاجابة. عن هذه الحاجة. و هو من أعلى أغلى الأعمال الاسلاميّة، و يعتبره «الشيخ المفيد» أنفع و «الفيض الكاشاني» أشرف و أقوم و أكمل و «العلامة المجلسي» يعتبره أجمل و أكبر و «محمد امين الاستر آبادي» يعتبره لا مثيل له في كتب الشيعة.

يوضح «الكليني» في مقدّمة كتابه «الكافي» الخطوط الرئيسيّة للايدئولوجيّة و مبادئ فكره على الوجه التالي:

١. خلق الله الناس لتمتّعهم بالعقل و الذكاء و لاستطاعتهم قبول الامر و النهي الالهي، بعيداً عن البهائم و الحيوانات.
٢. يتقسم الناس بعد الولادة إلى قسمين، جماعة ذو صحّة جيّدة و جماعة ضعيفة البنية و عاجزة.

٢. راجع: اصول الكافي، مقدّمة التحقيق للدكتور حسين علي محفوظ.

٣. الناس الذين يتمتعون بالصحة، يستحقون تلقى الامر و النهي الالهي، بسبب تمتعهم بأدوة القيام بالواجب، لكن الأشخاص الضعاف الذين لا يقدرّون على تعلم الأدب و العلم لا يكلفون بالقيام بأيّ مهمّة.

٤. العاجزون يبقون في مكانهم، و الأصحاء يقومون بمهمّة تعلم الأدب و العلم.

٥. إذا كان الجهل من نصيب للأصحاء، فمن المناسب ان يرفع التكليف عنهم.

٦. إن لم يكن الانسان قادراً على تحمّل المسؤولية، فإنّ إرسال الأنبياء و الكتب السماويّة يصبح عبثاً. ونتيجة لهذه الحالة، ينتشر الفساد. وهذا لم يكن من تدبير الله و تكون النتيجة الاقبال على اعتقاد المادّيين.

٧. إنّ عدالة الله و حكمته تقتضيان أن يصبح الناس الأصحاء مستحقّون لتحمل الواجب، وهؤلاء يقومون بتحتمل الأمر والنهي الإلهي حتّى لا يكون وجودهم عبثاً.

٨. إنّ أهمّ وظيفة للإنسان العاقل و السليم، هو علم الدّين والتّعرّف على طريق العبوديّة و السير في طريقه.

٩. إنّ العلم و الاعتقاد بالله، والأنبياء و الائمة، و الكتب السماويّة (و في زماننا القرآن) و يوم البعث والنشور يبنى إيماننا و يركّبه.

١٠. الإيمان على قسمين: الثابت و العابر

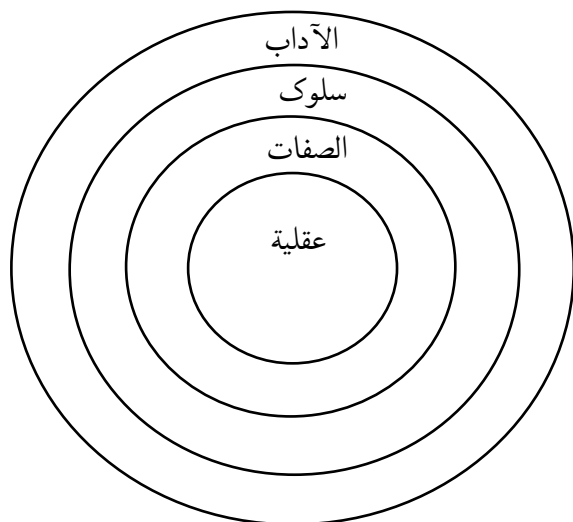
١١. من يحصل على إيمانه الثابت فقد تلقى اليقين من القرآن و سنّة النبيّ و عترته، و من اعتمد على آراء و أفكار الناس و الكبار، يصل إلى إيمان متزلزل وفضفاض.

١٢. إنّ الإيمان القويم والموقن، يجلب راحة البال وسلامة النفس و السعادة، و يمنع الانسان من الوقوع في الفتن و الضلال.

جمع «الكليني» خلال عشرين عاماً من البحث و التحقيق أوضح الروايات و ادقّها المنقولة عن النبيّ و الائمة المعصومين و نظّمها على اساس خطوطه الفكرية.

كتاب «الكافي» هو هندسة إسلاميّة و عريقة لبناء حياة الانسان و المجتمع السليم. إذا رسمنا البناء و الطبقات الوجوديّة للانسان العاقل و السليم في دائرة متّحدة المركز، أعمقها و أكثرها بناءً في هذه الدائرة، هو معتقداته التي تتشكّل بكسب العلم و تصبح خصبة بالفكر.

تبنى العقائد بالتفاعل مع الفطرة المتساوية و الطباع و التربية المختلفة الصفات. تنقسم



الصفات باللون الذي تحصل عليه من المعتقدات إلى مجموعتين صالحة و سقيمة. بعدها تتحرّك الأعمال التي هي التجليات الظاهرية للوجود مع قوى الصفات، و في الأخير نشاهد أعضاء من جسم الانسان يتحكّم بها صاحبها. ويمكن أن تكون حركات الجسم مرضية و بعض الأحيان غير مرضية. هذا الرضا و عدمه يعتمد على ثقافة كلّ قوم دون أن يؤثر على المعتقدات.

يبدو أنّ «الكافي» يوضح النظام المعرفي و التربوي للانسان كما وُصف على النحو التالي: كتاب «العقل و الجهل» و كتاب «العلم» للكافي هما مقدّمتان على هذا النظام الانثروبولوجي الذي يبيّن:

أولاً: الفرق بين الانسان و الحيوانات و البهائم في العقل
ثانياً: الناس الذين يولدون، إن كانوا يتمتّعون بصحة العقل و الحواسّ - الذين هما طريقان للفهم وأداة التكليف - يجب عليهم أن يتزودوا بمعرفة حقيقية و بناءة و هي معرفة الله، والأنبياء و الأوصياء و الكتب السماوية حتى يتمكنوا من إتخاذ مسار صحيح.

إنّ أهمّ أجزاء وجود الانسان، هو عالم معتقداته الذي يتولّى مسؤولية بناءه الأعمق و الأعرق في كتاب التوحيد و كتاب الحجّة أو حسب الزيارة الرجبية خزينة الاسرار. يحدّد الكليني الازدواجية و تناقض الصفات و سلوك الانسان من خلال تفسيره الخاصّ، و هو ليس تفسير حسن و قبح المتكلّمين، و ليس فضائل و رذائل للفلاسفة، و ليست منجيات و مهلكات مؤلفي

الأخلاق، و ليس السلوك الطبيعي وغير الطبيعي لعلماء النفس؛ بل يطلق عليهم تسميه «الايمان والكفر» حتى يظهر بنفس تلك الايدئولوجيا التوحيدية أنّ "صبغة الله" هي المعيار الحقيقي و العيني للتجليات الایجابیة الوجودیة للناس في كلّ الأزمنة و الأمكنة.

الشخصیة السلیمة و المثالیة في «الكافی» هو الانسان المؤمن. يأتي «الكلینی» في أبواب الطیئة و الفطرة من كتاب «الایمان و الكفر» بأبحاث عميقة على لسان حجج الله، لیبان اساس وجود الانسان. ثمّ يشرح فی باب «الفرق بین الإسلام و الإیمان» وجود الایمان في كلّ أعضاء وأجزاء الجسم و درجات الایمان و أبعاد شخصیة المؤمن، ثمّ يصل إلى باب «مكارم الاخلاق». جمع «الكلینی» بنظام فكريّ دقيق مكارم الأخلاق و هي الصفات الإختیاریة و الأساسیة في بناء شخصیة الانسان، وخلافاً للسلوكات الایجابیة مثل «الصلوة»، «الصیام»، «السجدة»، و «الركوع»، فإنّها يمكن أن تكون معیاراً لاختیار الانسان.

یعدّ «الكلینی» في باب مكارم الأخلاق، المكارم و يأتي في الأبواب الأخرى بروایات عميقة في توضیح المكارم.

هذا العالم الكبير بعد ذكر میزة الشخصیات السلیمة أيّ المؤمنین (فی ١١٠ ابواب مع ٩٤٨ حدیثاً في «كتاب الایمان» و هو یضم ٥٤ باباً) یصنّف ویوضّح الذنوب والزلات و الانحرافات التي تجرّ المؤمن إلى وادی الكفر.

الروایة الاولى، و هي روایة نقلت عن «الامام الباقر»:

قَالَ: «كَانَ أَبِي يَقُولُ: مَا مِنْ شَيْءٍ أَفْسَدَ لِلْقَلْبِ مِنْ خَطِيئَةٍ. إِنَّ الْقَلْبَ لَيُوقِعُ الْخَطِيئَةَ، فَمَا تَزَالُ بِهِ حَتَّى تَغْلِبَ عَلَيْهِ، فَيُصَيِّرَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ».

وفي المعارف الاسلامیة، یوصف القلب بأنّه مركز الاحساس و فهم الانسان و جوهر وجوده. فالإنسان یولّد على الفطرة الإلهیة. إن سار على طریق الحیاة بدلالة العقل و إرشاد حجج الله، یصبح شخصیة سلیمة مع صفات و سلوك حميدة، عندها یقال له مؤمن. لكن إذا أغفل و زلّ عن طریق الله و هو طریق الكمال و یسير فی طریق منحرف و یعصى الله تدریجاً، عندها یسقط في وادی الكفر، و هو إضطراب شخصیته الحقیقیة.

١. الكافي، ج ٢، ص ٥٥ - ٥٦.

٢. الكافي، ج ٣، ص ٦٦٧.

لذلك فإنَّ الحركة الطبيعيَّة هي السَّير في الصراط المستقيم أي التوحيد، وإنَّ الإعراض عنه يوجب الذنب والسلوك غير الطبيعي والإلحاح على الذنب يبدأ تافهاً، ولكنه يشكِّل الصفات السيِّئة التي تبني شخصيَّة الإنسان.

يقدم «الكليني» الكبير في هذا الجزء من كتاب الإيمان، البحث عن الصفات المهمَّة و الأساسيّة للكبائر، و بإتيان روايات في الأبواب التالية، كطبيب دقيق النظر و مجرَّب يُندر أنَّ استصغار الذنوب و الإلحاح عليها يعمِّق كلَّ زلَّة و يجعلها كبيرة.

وفي باب «جنود الكفر و أسسه» يتقصَّى أهمَّ عوامل الإضطراب في الشخصيَّة، و هو باب ينبغي على علماء المسلمين أن يعرفوا بالدراسات العلميَّة و الشاملة محتواه و يُتيحوه للباحثين المهتمِّين.

فكتاب الكفر يضمُّ أبحاثاً عميقة و غامضة لا تمكن الإشارة إليها في هذا المقال. ينهى «الكليني» كتاب الإيمان و الكفر بأقوال متفائلة و مفيدة عن أئمة الدين، حول الوقاية من الأمراض و الاضطرابات النفسيَّة و الشخصيَّة.

يجب أن يكون المؤمن ذات شخصيَّة اسلاميَّة قرآنيَّة سليمة على اتِّصال دائم مع الله الحكيم و خالق القيم، حتى يستطيع أن يحكم إيمانه اثر تقلُّبات حياته. و هذا لا يتوقَّر إلَّا بالأدعية الروحانيَّة الخالصة والتضرع إلى الله جلَّ جلاله و تلاوة القرآن مع التدبُّر في الآيات. لذلك فإنَّ الكليني المؤلِّف العالم و الحادِّ النظر كتب كتاب الدعاء و كتاب القرآن بعد كتاب "الإيمان و الكفر".

إنَّ معرفة الآداب والسلوك الاجتماعي، تزوِّن شخصيَّة الإنسان المؤمن. ولكن هل يمكن أثر التمتُّع بالمهارات الاجتماعيَّة إزالة التفكير السيِّئ و المريض في القلب؟ يُجيب «الكليني» عن هذا السؤال سلباً، عند إتيانه كتاب العشرة في ختام قسم الأصول من «الكافي».

فالآداب هي زينة الأفعال و ليست صانعها، و هذا هو نفس النظام الفكريِّ و التربويِّ الباطل الذي نشاهده في عصر الحداثة.

فالمهارات و الآداب الاجتماعيَّة، هي في طليعة الحياة، و تعكس الشَّخصيَّة المتوازنة و المعتقدات الدينيَّة و التوحيديَّة، و هي الحقائق المنسيَّة لحياة الفرد و المجتمع.

جدير بالذكر، أنّ «العلامة المجلسي» رتب كتاب «الإيمان و الكفر» طبقاً لترتيب بحارالانوار (المجلدات ۶۷ - ۷۶) وبنفس العنوان و ترتيب «أصول الكافي».

المصادر و المراجع

أ - المصادر الفارسية

۱. آسیا در برابر غرب؛ داریوش شایگان؛ امیرکبیر؛ ۱۳۵۶ ش.
۲. آسیب شناسی؛ دیوید روزنхан و مارتین سلیغم؛ ترجمة مجتبی سید محمدی؛ طهران؛ ساوالان؛ ۱۳۸۶ ش.
۳. آشنائی با علوم اسلامی (حکمت عملی)؛ مرتضی مطهری؛ طهران؛ صدرا؛ ۱۳۷۷ ش.
۴. أخلاق ناصري؛ نصیرالدین الطوسی؛ طهران؛ منشورات خوارزمی؛ ۱۳۷۳ ش.
۵. انسان در نگاه اسلام و اومانيسم؛ عبدالله ابراهيم زاده آملی؛ مجلة قبسات؛ العدد ۴۴؛ صيف ۱۳۸۶ ش.
۶. بحران دنیای متجدد؛ رنیه جینوه؛ ترجمة ضیاء الدین دهشیری؛ طهران؛ امیرکبیر؛ ۱۳۷۲ ش.
۷. خداوندان اندیشه سیاسی (ج ۲)؛ وت جونز؛ ترجمة علی رامین؛ طهران؛ امیرکبیر؛ ۱۳۷۶ ش.
۸. درآمدی بر فراز و فرود مدرن؛ مجید امامی؛ قم؛ نورمطاف؛ ۱۳۸۶ ش.
۹. دین و نظم طبیعت؛ سید حسین نصر؛ ترجمة إنشاءالله رحمتی؛ طهران؛ نشر نی؛ ۱۹۹۶ م.
۱۰. روان شناسی اجتماعی؛ الیفت ارونسون؛ ترجمة حسین شکرکن؛ طهران؛ سمت؛ ۱۳۸۷ ش.
۱۱. روان شناسی مرضی از کودکی تا بزرگسالی (ج ۱) بریخ دادستان؛ طهران؛ سمت؛ ۱۳۸۷ ش.
۱۲. روان شناسی نا به هنجار و زندگی نوین؛ جیمس بسی کلمن؛ ترجمة کیانوش هاشمیان؛ طهران؛ جامعة الزهراء؛ ۱۳۷۶ ش.
۱۳. روان شناسی نا به هنجاری؛ کاستلو تیمونی و کاستلو جوزف؛ ترجمة نصرت الله بور افکاری؛ طهران؛ آزاده؛ ۱۹۹۲ م.
۱۴. زمینه روان شناسی؛ اتیکسون و زملاءه؛ ترجمة محمد تقی برهانی و زملاءه؛ طهران؛ رشد؛ ۱۳۸۵ ش.
۱۵. سیر ناخردی؛ باراباراتاکمن؛ ترجمة حسن کامشاد؛ طهران؛ فرزاد؛ ۱۳۸۴ ش.
۱۶. شرح حدیث جنود عقل و جهل؛ روح الله الخميني؛ طهران؛ مؤسسة تنظیم و نشر مؤلفات الامام الخميني؛ ۱۳۷۷ ش.
۱۷. علم اخلاق اسلامی؛ مهدی نراقی؛ ترجمة سید جلال مجتبی؛ طهران؛ حکمت؛ ۱۳۸۵.
۱۸. فلسفه اخلاق؛ محمد تقی مصباح یزدی؛ طهران؛ اطلاعات؛ ۱۳۷۶ ش.
۱۹. متن تجدیدنظر شده راهنمای تشخیص و آماری اختلال های روانی؛ انجمن روان پرشکی امریکا؛ ترجمة محمد رضا نیکخو و هاما یاک آرادیس بانس؛ طهران؛ منشورات علمی؛ ۱۳۸۶ ش.
۲۰. مراحل اخلاق در قرآن؛ عبدالله جوادی آملی؛ قم؛ مرکز نشر اسراء؛ ۱۳۷۹ ش.
۲۱. منطق و معرفت از نظر غزالی؛ غلامحسین ابراهیمی دینانی؛ طهران؛ امیرکبیر؛ ۱۳۷۰ ش.

٢٢. نظريه‌های روان درمانی؛ جیمس پروتشناسکا و نورکراس؛ ترجمة یحیی سید محمدی؛ طهران؛ رشد؛ ۱۳۸۶ ش.
 ٢٣. نقد و بررسی مکاتب اخلاقی؛ محمد تقی مصباح یزدی؛ قم؛ مرکز منشورات مؤسسة الامام الخمينی؛ ۱۳۸۴ ش.

ب - المصادر العربية

٢٤. آداب النفس؛ السيد محمد العینائی العاملی؛ بیروت؛ مؤسسة العلمی؛ ۱۴۱۵ ق.
 ٢٥. الأخلاق؛ السید عبدالله شبر؛ قم؛ بصیرتی؛ ۱۳۹۵ ق.
 ٢٦. الحقائق فی محاسن الاخلاق؛ محمد محسن بن شاه مرتضی؛ (الفيض الكاشانی)؛ بیروت؛ دارالكتاب العربی؛ ۱۳۹۹ ق.
 ٢٧. الکافی؛ محمد بن یعقوب الكلینی؛ طهران؛ دارالکتب الاسلامیة.
 ٢٨. المحجة البيضاء فی إحياء الأحياء؛ محمد محسن بن شاه مرتضی؛ (الفيض الكاشانی)؛ تحقیق؛ علی أكبر الغفاری؛ طهران؛ مكتبة الصدوق؛ ۱۳۳۹ ش.
 ٢٩. بحار الانوار؛ محمد باقر بن محمد تقی المجلسی (العلامة المجلسی)؛ طهران؛ المكتبة الاسلامیة؛ ۱۳۷۴ ش.
 ٣٠. جامع أحاديث الشيعة، اسماعیل معزى ملايرى (تحت إشراف آية الله البروجردي)؛ قم؛ المؤلف؛ ۱۳۷۷ ش.
 ٣١. وسائل الشيعة؛ محمد بن الحسن الحرّ العاملي؛ طهران؛ المكتبة الاسلامیة.

ج - المصادر الانجليزية

٣٢. Argyl, Micheal (٢٠٠١) Psychology and Religion, Routledge ,U.K
 ٣٣. Butcher, james ,S,N, Minke ,Susan and Hooley, jill, M (٢٠٠٧) ٣٥. the Abnormsl Psychology ,Pearson, U.S.A
 ٣٤. Davison, Neal, Blankstein, Flett (٢٠٠٥) Abnormal Psychology ,MC Graw Hill U.S.A
 ٣٥. Nolen. Hocksma (٢٠٠٧) ٤ th ed Abnormal Psychology ,MC Grow Hill, U.S.A
 ٣٦. Sue, David. Sue, Derald, Wing. And Sue Stanley (٢٠٠٦) ٥ th ed Understanding Abnormsl Behavior , Houghton Miffilin Company, U.S.A.